من قصص القرآن
الراهب المغرر به

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ طه، 99

الرّاهب المغرّر به

«برصيصا»

إعداد : كمال قندوزي

مراجعة لغوية: ساعد العلوي

كل الحقوق محفوظة

المكتبة الخضراء
للطباعة و النشر و التوزيع
1 أ شارع الزواوة الشراقة الجزائر
www.bverte.net

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ
قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾
فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا
وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة الحشر، 16-17

الشَّيْطَانُ عَدُوٌّ مُبِينٌ لِلإِنْسَانِ

هَذِهِ قِصَّةٌ قَيِّمَةٌ أَشَارَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَى مَغْزَاهَا فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ؛ فِيهَا عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ وَتَذْكِرَةٌ، أَظْهَرَ فِيهَا فَضْلَ العِلْمِ وَشَرَفَهُ، وَبَيَّنَ أَنَّهُ لَمْ يَتَحَلَّ الإِنْسَانُ بِشَيْءٍ أَجْمَلَ مِنْ عِلْمٍ يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَيُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الشَّرِ وَالْخَيْرِ، وَيَعْرِفُ بِهِ أَلَاعِيبَ الشَّيْطَانِ وَحِيَلَهُ وَمَكْرَهُ وَخِدَاعَهُ.

وَالشَّيْطَانُ يَتَرَبَّصُ بِالإِنْسَانِ الدَّوَائِرَ، وَيُرِيدُ أَنْ يُوقِعَهُ فِي الْمَهَالِكِ، وَلَا يَأْتِي الشَّيْطَانُ مِنْ بَابِ الشَّرِ مُبَاشَرَةً، لِأَنَّهُ لَوْ فَعَلَ ذَلِكَ لَفَطِنَ لَهُ كُلُّ النَّاسِ، وَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يُوقِعَ أَحَدًا فِي الْمَعْصِيَةِ مَهْمَا كَانَ، وَلَكِنَّهُ يَأْتِي الإِنْسَانَ فِي صُورَةِ النَّاصِحِ الأَمِينِ، فَيَنْصِبُ حَبْلَ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ لِيَصْطَادَ بِهَا العِبَادَ وَيُوقِعَهُمْ بِذَلِكَ فِي الشَّرِ، وَلَا يَتَفَطَّنُ لِحِيَلِهِ وَأَلَاعِيبِهِ إِلَّا مَنْ أُوتِيَ عِلْمًا وَفِطْنَةً، وَذَكَاءً وَمَعْرِفَةً، وَقُوَّةَ إِيمَانٍ، وَيَعْرِفُ أَنَّ مَا هُوَ فِيهِ وَسْوَسَةٌ بِالشَّرِّ مِنْ تَلْبِيسَاتِ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ، فَيَبْتَعِدُ عَنْ طَرِيقِهِ وَيَزْدَادُ حَذَرًا مِنْهُ، أَمَّا إِنْ كَانَ جَاهِلًا غَافِلًا سَاذَجًا يَرَى الْحَبَّةَ

وَلاَ يَرَى الفَخَّ، فَــإِنَهُ يَقَعُ فِيمَا رَآهُ مُبَــاشَرَةً، وَلاَ يَحْتَرِزُ مِنْهُ، وَيظُنُّ الْمِسْكِينُ أَنَّ الْحَبَّةَ طَعَــامٌ لَهُ، وَإِنَّمَــا هِيَ طُعْمٌ يُصْطَــادُ بِهِ.

وَلَيْسَ لِلشَّيْطَــانِ طَرِيقَةٌ وَاحِدَةٌ لِلإِغْوَاءِ، بَلْ لَهُ طُرُقٌ مُلْتَوِيَةٌ مُتَشَعِّبَةٌ كَثِيرَةٌ، وَكُلَّمَا كَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ عِلْمًا، وَأَقْوَى إِيمَانًا وَإِخْلاَصًا لِلَّهِ تَعَالَى، كُلَّمَا ازْدَادَ مَعْرِفَةً بِهَذِهِ الطُّرُقِ، فَلاَ يَغْتَرُّ وَلاَ يَنْخَدِعُ بِهَــا، يَبْدُو ظَاهِرُهَا خَيْرًا لَكِنَّهَا تُخْفِي أَشْيَاءً كَثِيرَةً، إِنْ هِيَ إِلاَّ طُرُقٌ مُهْلِكَةٌ، مَنْ سَارَ عَلَيهَا أَدَّتْ بِهِ إِلَى مَعَاطِبَ، وَإِلَى الْهَلاَكِ.

بَرْصِيصَا يَتَفَرَّغُ لِلْعِبَادَةِ

لِنَذْكُرِ الآنَ القِصَّةَ الشَّيِّقَةَ طَلَبًا فِي الزِّيَادَةِ مِنَ العِلْمِ، لِيَقْوَى حَذَرُنَا مِنَ الشَّيْطَانِ وَحِيَلِهِ؛ فَقَدْ كَانَ فِي زَمَنٍ قَدِيمٍ رَجُلٌ مِنْ عُبَّادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَصَالِحِيهِمْ، لَا يُصَاحِبُ أَحَدًا، كَانَ مُنْصَرِفًا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَطَاعَتِهِ قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ؛ يُكْثِرُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ، وَكُلُّ وَقْتِهِ عَامِرٌ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ.

لَمَّا عَلِمَ هَذَا العَابِدُ أَنَّ وُجُودَهُ مَعَ النَّاسِ يَمْنَعُهُ مِنَ التَّفَرُّغِ التَّامِ لِعِبَادَةِ اللَّهِ عَزَمَ عَلَى أَنْ يَعْتَزِلَهُمْ، وَرَأَى أَنَّ ذَلِكَ أَهْنَأُ لِقَلْبِهِ، وَأَرْضَى لِرَبِّهِ، وَأَفْرَغُ لِوَقْتِهِ، فَابْتَنَى لِنَفْسِهِ صَوْمَعَةً مِنَ الطِّينِ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، وَجَهِلَ هَذَا الْمِسْكِينُ أَنَ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ ذَلِكَ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، فَفِي النَّاسِ مَنْ فِيهِ خَيْرٌ وَفِيهِ غَفْلَةٌ، يَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يُذَكِّرُهُ وَيُرْشِدُهُ، فَإِذَا خَلَتِ الأَرْضُ مِنْ مُرْشِدٍ وَنَاصِحٍ، هَلَكَ بِسَبَبِ ذَلِكَ نَاسٌ كَثِيرُونَ.

بَقِيَ ذَلِكَ العَابِدُ عَلَى حَالِهِ تِلْكَ سِنِينَ طَوِيلَةً، أَمَّا أَهْلُ الْقَرْيَةِ فَكَانُوا يُعَظِّمُونَهُ جِدًّا لِصَلَاحِهِ وَإِخْلَاصِهِ وَزُهْدِهِ.

تآمُرٌ عَلَى بَرْصِيصَا

وَقَدْ حَاوَلَ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ مِرَارًا وَتِكْرارًا أَنْ يَثْنِيَهُ عَنْ عَزْمِهِ، وَأَنْ يُغْوِيَهُ (يُضِلَّهُ) وَاسْتَعْمَلَ مَعَهُ كُلَّ وَسَاوِسِهِ، وإِغْرَاءَاتِهِ، وَحِيَلِهِ وَخُدَعِهِ، وَلَكِنَّهُ فَشَلَ فِي إِغْوَائِهِ لِصَلَابَتِهِ فِي الدِّينِ، وَقُوَّةِ تَمَسُّكِهِ بِهِ؛ إِذْ لَيْسَ لَهُ وَقْتٌ يُضَيِّعُهُ، وَالشَّيْطَانُ إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَى الإِنْسَانِ حِينَ الغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ، أَمَّا هَذَا العَابِدُ فَأَنْفَاسُهُ وَلَحَظَاتُهُ كُلُّهَا عَامِرَةٌ بِذِكْرِ اللَّهِ وَفِعْلِ الْخَيْرِ، فَمَنَافِذُ الشَّيْطَانِ مُغْلَقَةٌ، وَأَبْوَابُهُ الَّتِي يَدْخُلُ مِنْهَا مُوصَدَةٌ، جَمَعَ الشَّيْطَانُ اللَّعِينُ أَبْنَاءَهُ وَأَحْفَادَهُ، وَقَامَ فِيهِمْ خَطِيبًا وَقَالَ: مَنْ لِي بِالعَابِدِ بَرْصِيصَا، قَدْ أَعْيَانِي، وَمَا اسْتَطَعْتُ إِغْوَاءَهُ، فَقَامَ أَحَدُهُمْ مُلَبِّيًا لِنِدَاءِ كَبِيرِهِمْ وَقَالَ: أَنَا لَهُ.

ذَهَبَ هَذَا الشَّيْطَانُ وَأَخَذَ يُدَبِّرُ الْمَكَائِدَ كَيْ يُسْقِطَهُ فِي حِبَالِهِ، إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى مَكِيدَةٍ دَبَّرَهَا تَدْبِيرًا، وَأَحْكَمَ تَخْطِيطَهَا؛ قَصَدَ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ الأَشْرَافِ، وَأَخَذَ يُوَسْوِسُ لَهَا وَيَجُولُ بِخَاطِرِهَا لَيْلاً وَنَهَارًا إِلَى أَنْ خَضَعَتْ لَهُ، فَاغْتَنَمَ اللَّعِينُ غَفْلَتَهَا فَتَلَبَّسَ (اخْتَلَطَ) بِهَا، فَأُصِيبَتْ بِإِغْمَاءٍ شَدِيدٍ، وَلَمَّا أَفَاقَتْ صَارَتْ تَهْذِي كَالْمَجْنُونَةِ.

الشَّيْطَانُ يُوَسْوِسُ وَيُخَطِّطُ

احْتَارَ أَهْلُهَا فِيمَا يَفْعَلُونَهُ مَعَهَا، وَمَا السَّبِيلُ إِلَى عِلَاجِهَا، وَبَحَثُوا لَهَا عَنْ مُعَالِجٍ فَتَلَبَّسَ (هُنَا بِمَعْنَى تَنَكَّرَ) إِبْلِيسُ اللَّعِينُ وَتَشَكَّلَ عَلَى صُورَةِ رَجُلٍ صَالِحٍ يُدَاوِي النَّاسَ مِنَ الْأَرْوَاحِ الْخَبِيثَةِ، وَتَظَاهَرَ أَمَامَهُمْ بِالتَّقْوَى، وَلَمَّا اسْتَعْمَلَ التَّعَاوِيذَ لِيُغْرِيَهُمْ أَكْثَرَ، قَالَ لَهُمْ: إِنَّ أُخْتَكُمْ قَدْ تَلَبَّسَ بِهَا عِفْرِيتٌ مَارِدٌ قَوِيٌّ، وَأَنَا ضَعِيفٌ أَمَامَهُ لَا أَسْتَطِيعُ إِخْرَاجَهُ، وَإِنِّي أَخَافُ عَلَى أُخْتِكُمْ مِنْهُ، وَنَصِيحَتِي لَكُمْ أَنْ تَذْهَبُوا بِهَا إِلَى رَجُلٍ صَالِحٍ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِخْرَاجِهِ وَطَرْدِهِ، لِأَنَّ هَذَا العِفْرِيتَ لَا يَخَافُ أَحَدًا إِلَّا ذَاكَ الرَّجُلَ، قَالَ إِخْوَتُهَا الثَّلَاثَةُ: وَمَنْ هُوَ هَذَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ، وَأَيْنَ نَلْقَاهُ؟ قَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ العَابِدُ بَرْصِيصَا الَّذِي يَسْكُنُ الصَّوْمَعَةَ، وَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يَقْبَلَ رُقْيَتَهَا وَلَكِنْ أَلِحُّوا عَلَيْهِ فِي الطَّلَبِ.

ذَهَبُوا بِهَا إِلَى العَابِدِ بَرْصِيصَا، وَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى صَوْمَعَتِهِ نَادَوْهُ بِاسْمِهِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ، وَشَرَحُوا لَهُ الْمَوْقِفَ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ

يَرْقِيهَا وَلَكِنَّهُ رَفَضَ أَشَّدَ الرَّفْضِ، وَمَا زَالُوا يُلِحُّونَ عَلِيْهِ، وَيَرْثُونَ (يَرِقُّونَ لِحَالِهَا وَيَرْحَمُونَهَا) لَهُ حَالَ أُخْتِهِمْ أَمَامَهُ، وأُخْتُهُمْ أَمَامَهُمْ مُلْقَاةٌ عَلَى الأَرْضَ، فَرَقَّ لِحَالِهَا، وَوَافَقَ عَلى طَلَبِهِمْ، واشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ أَلَّا يُدْخِلُوهَا صَوْمَعَتَهُ، بَلْ يَبْنُونَ لَهَا أَمَامَهُ صَومْعَةً أُخْرَى لِيَرْقِيَهَا بَيْنَ الْحِينِ وَالْحِينِ.

تَرَكُوا أُخْتَهُمْ عِنْدَهُ، وَفِي اعْتِقَادِهِمْ أَنَّهُمْ وَضَعُوهَا عِنْدَ رَجُلٍ أَمِينٍ لاَ يَخُونُ، وَهُو لِلْعِرْضِ يَصُونُ، فَرَقَاهَا، وَأَخذَ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهَا، وَيَقْرَأُ عَلَيْهَا التَّعَاوِيذَ التِي تُحَصِّنُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم، فَشُفِيَتْ مِنْ مَرَضِهَا لأَنَّ الشَّيطَانَ الَّذِي وَسْوَسَ لَهَا وَتَلَبَّسَ بِهَا أَطْلَقَهَا, وَأَخَذَ بَرْصِيصَا يَأْتِيهَا بِطَعَــامِهَا إِلَى صَوْمَعَتِهَا، وَكَانَ يَضَعُهُ أَمَامَ البَابِ، ثُمَّ يَصْعَدُ صَوْمَعَتَهُ فَيُنَادِيهَا لِتَفْتَحَ البَــابَ وَتَأْخُذُ الطَّعَامَ. وَسْوَسَ لَهُ الشَّيطَــانُ فِي أَوَّلِ الأَمْرِ أَنْ يُكَلِّمَهَا لأَنَّهُ أَجْبَرُ لِخَاطِرِهَــــا، وَآنَسُ لِوَحْشَتِهَــا، فَكَانَ يُكَلِّمُهَا مِنْ أَعْلَــى الشُّرْفَةِ.

وَسْوَسَةٌ مِنَ الدَّرَجَةِ الرَّابِعَةِ

مَا زَالَ الشَّيْطَانُ بِهِ إِلَى أَنْ وَسْوَسَ لَهُ لِيَجْلِسَ أَمَامَهَا لِيُعَلِّمَهَا الدِّينَ وَالْحِكْمَةَ، وَلَمَّا خَلاَ بِهَا ضَعُفَ أَمَامَهَا، وَخَارَتْ عَزِيمَتُهُ وَثَارَتْ شَهْوَتُهُ، فَفَجَرَ بِهَا، وَمَا خَلاَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ كَانَ الشَّيطَانُ ثَالِثَهُمَا. وَالشَّيطَانُ لاَ يَأْتِي مِنْ بَابِ الشَّرِّ مُبَاشَرَةً كَمَا سَبَقَ الكَلاَمُ مِنْ قَبْلُ، بَلْ يَأْتِي مِنْ أَبْوَابٍ ظَاهِرُهَا خَيْرٌ، وَلَكِنَّهَا مَكَائِدُ لِيُوقِعَ بِهَا العِبَادَ فِي شِبَاكِهِ، وَلِذَلِكَ حَذَّرَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ أَنْ نَتَّبِعَ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ لأَنَّهُ عَدُوٌّ مُبِينٌ، وَخُطُوَاتُهُ تُؤَدِّي إِلَى الْمَهَالِكِ.

وَلَمَّا أَحْبَلَهَا وَصَارَت حَامِلاً مِنْهُ، احْتَارَ فِي أَمْرِهِ وَمَا يَفْعَلُ، خَافَ عَلَى نَفْسِهِ الفَضِيحَةَ، جَاءَهُ الشَّيْطَانُ مَرَّةً أُخْرَى مُوَسْوِسًا، وَلِلشَّرِّ دَاعِيًا وَعَنِ الْخَيْرِ نَاهِيًا، فَقَالَ لَهُ: أَرَأَيْتَ لَوْ جَاءَ إِخْوَتُهَا، مَا تَقُولُ لَهُمْ، وَالْحِيلَةُ فِي الْخُرُوجِ مِنْ هَذَا الْمَأْزَقِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ أَنَّ تَقْتُلَهَا هِيَ وَابْنَهَا، وَإِذَا جَاءَ الإِخْوةُ فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ خَنَقَهَا فَمَاتَتْ، وَهُمْ يُصَدِّقُونَكَ لأَنَّهُمْ

لَمْ يَعْهَدُوا مِنْكَ الكَذِبَ، وَهَكَذَا يُدْفَنُ سِرُّكَ وَلَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ.

وَسْوَسَةٌ مِنَ الدَّرَجَةِ الْخَامِسَةِ

عَمِلَ بَرْصِيصَا بِوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ الْمَعْسُولَةِ، وَظَنَّ أَنَّ الأَمْرَ يَنْتَهِي إِلَى هَذَا الْحَدِّ، وَجَهِلَ الْمِسْكِينُ أَنَّ الشَّيْطَانَ اللَّعِينَ لاَ يُوقِعُهُ فِي وَرْطَةٍ إِلاَّ لِيَزُجَّ بِهِ فِيمَا هُو أَعْظَمُ مِنْهَا، فَقَتَلَهَا وَدَفَنَهَا، ثُمَ انْصَرَفَ إِلَى العِبَادَةِ مَرَّةً أُخْرَى، وَلَكِنَّ العِبَادَةَ الَّتِي لاَ تَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ خُدْعَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ.

جَاءَ إِخْوَتُهَا يَسْأَلُونَ عَنْ حَالِهَا، وَلِيَأْخُذُوهَا مَعَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ بَرْصِيصَا: إِنَّ الشَّيْطَانَ خَنَقَهَا فَمَاتَتْ، وَقَدْ أَحْسَنْتُ دَفْنَهَا، فَصَدَّقُوهُ بِمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ ثُمَّ انْصَرَفُوا إِلَى مَسَاكِنِهِمْ، وَبَيْنَمَا هُمْ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ إِذْ جَاءَ الشَّيْطَانُ إِلَى أَخِيهِمُ الأَكْبَرِ فِي الْمَنَامِ قَائِلاً: إِنَّ أُخْتَكَ قَتَلَهَا العَابِدُ بَرْصِيصَا وَلَمْ تَمُتْ حَتْفَ أَنْفِهَا (أَيْ لَمْ تَمُتْ مَوْتًا طَبِيعِيًّا).

ثُمَّ جَاءَ إِلَى الأَخِ الأَوْسَطِ فِي الْمَنَامِ، وَقَالَ لَهُ نَفْسَ الْكَلاَمِ، ثُمَّ جَاءَ الأَخَ الأَصْغَرَ وَقَالَ لَهُ الْكَلاَمَ نَفْسَهُ، وَلَمَّا أَصْبَحُوا تَلَكَّؤُوا (أَبْطَؤُوا وَتَوَقَّفُوا) فِي الكَلاَمِ، وَمَا صَدَّقَ أَحَدُهُمُ الْمَنَامَ

الَّذِي رَآهُ، وَمَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَشُكَّ فِي بَرْصِيصَا، وَفِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ فَعَلَ مَعَهُمُ الشَّيْطَانُ كَاللَّيْلَةِ الأُولَى، وَلَمَّا أَصْبَحُوا لَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ عَمَّا رَآهُ، وَفِي اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ رَأَوْا نَفْسَ الْمَنَامِ، وَلَمَّا أَصْبَحُوا، قَالَ الأَخُ الصَّغِيرُ: تَعْلَمُونَ يَا إِخْوَتِي أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ شَيْئًا مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَبُوحَ بِهِ، قَالُوا: قُلْ وَلَا تَخَفْ، فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ الإِخْوَانُ: وَنَحْنُ كَذَلِكَ رَأَيْنَا مَا رَأَيْتَهُ، وَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ لِيَتَحَقَّقُوا فِي الأَمْرِ فَذَهَبُوا إِلَى الْمَلِكِ وَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ.

بَعَثَ الْمَلِكُ الْجُنُودَ إِلَى العَابِدِ فَأَنْزَلُوهُ مِنْ صَوْمَعَتِهِ، وَهَدَّدُوهُ إِنْ لَمْ يُخْبِرْهُمْ بِالْحَقِيقَةِ لَيَضْرِبُنَّهُ، فَأَخْبَرَهُمْ بِالقِصَّةِ عَلَى حَقِيقَتِهَا، وَذَهَبُوا إِلَى مَوْضِعِ قَبْرِهَا، فَنَبَشُوهُ وَأَخْرَجُوا مِنْهُ جُثَّةَ الْمَرْأَةِ الْمِسْكِينَةِ، هَالَهُمْ مَا رَأَوْهُ فَرَفَعُوا أَمْرَهُ إِلَى الْمَلِكِ الَّذِي أَمَرَ بِقَتْلِهِ.

كُفْرُ بَرْصِيصَا وَتَبَرُّؤُ الشَّيْطَانِ مِنْهُ

وَجَاءَ الشَّيْطَانُ إِلَى بَرْصِيصَا وَقَالَ لَهُ: أَنَا الَّذِي أَوْقَعْتُكَ فِيمَا وَقَعْتَ فِيهِ؛ زَيَّنْتُ لَكَ الْمَرْأَةَ إِلَى أَنْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ، وَلَكِنْ لَنْ أَتَخَلَّى عَنْكَ، فَإِذَا فَعَلْتَ مَا آمُرُكَ بِهِ لأُنْجِيَنَّكَ مِنَ الْمُشْكِلَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا، فَقَالَ: وَمَاذَا تُرِيدُ مِنِّي الآنَ؟ قَالَ إِبْلِيسُ: أَنْ تَسْجُدَ لِي سَجْدَةً وَاحِدَةً، يَا لَهُ مِنْ أَمْرٍ عَظِيمٍ! مُنْذُ سِتِّينَ سَنَةٍ لَمْ يَسْجُدْ هَذَا العَابِدُ إِلاَّ لِلَّهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَالآنَ يَطْلُبُ مِنْهُ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ أَنْ يَسْجُدَ لَهُ، خَافَ بَرْصِيصَا عَلَى نَفْسِهِ، وَأَرَادَ الإِبْقَاءَ عَلَى حَيَاتِهِ، وَسَجَدَ لِلشَّيْطَانِ سَجْدَةً، فَلَمَّا قَامَ مِنْ سَجْدَتِهِ قَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: "إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ"، فَلَوْ أَنَ بَرْصِيصَا تَدَارَكَ مَا فَاتَهُ وَتَابَ إِلَى اللَّهِ، وَلَمْ يُتَابِعُ إِبْلِيسَ اللَّعِينَ لَغُفِرَ لَهُ، وَلَكِنَّ إِبْلِيسَ بِمَكْرِهِ وَخِدَاعِهِ لَمْ يُرِدْ أَنْ يُوقِعَهُ فِي الْمَعْصِيَةِ الَّتِي يُتَابُ وَيُسْتَغْفَرُ مِنْهَا، أَمَّا الَّذِي لاَ يَغْفِرُهُ اللَّهُ إِنْ مَاتَ عَلَيْهِ الإِنْسَانُ وَلَمْ يَتُبْ -فَهُوَ الْكُفْرُ وَالشِّرْكُ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي فَعَلَهُ إِبْلِيسُ مَعَ بَرْصِيصَا، فَالْمَعْصِيَةُ بَرِيدُ الكُفْرِ، أَوْقَعَهُ فِي الْمَعْصِيَةِ

فِي البِدَايَةِ، وَهَوَّنَ عَلَيْهِ أَمْرَهَا وَاسْتَصْغَرَ فِعْلَهَا، ثُمَّ أَوْقَعَهُ فِيمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْمَعْصِيَّةِ، الَّذِي هُوَ الكُفْرُ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَسَجَدَ لِإِبْلِيسَ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ النساء، 116، وَهَذَا أَعْلَى مَا يَتَمَنَّاهُ إِبْلِيسُ، وَلِذَلِكَ كَانَ مَصِيرُ بَرْصِيصَا وَالشَّيْطَانُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدَيْنَ فِيهَا.

وَإِلَى هَذِهِ القِصَّةِ أَشَارَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ الْحَشْرِ فِي الآيَتَيْنِ (16-17) : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وَالشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالكُفْرُ بِهِ هُوَ أَعْظَمُ الظُّلْمِ، كَمَا أَنَّ الإِيمَانَ بِاللَّهِ وَتَوْحِيدَهُ أَعْظَمُ الطَّاعَاتِ.

وَهَذِهِ العَاقِبَةُ وَالنِّهَايَةُ السَّيِّئَةُ لَا تَخُصُّ بَرْصِيصَا وَحْدَهُ، بَلْ هُوَ جَزَاءُ مَنْ كَانَ عَلَى طَرِيقِ بَرْصِيصَا، وَمَنِ اتَّبَعَ الشَّيْطَانَ فِي وَسَاوِسِهِ، فَلَا غَرَابَةَ أَنْ يَكُونَ مَآلُهُ كَمَآلِ بَرْصِيصَا.

أسئلة لتفهُّم القصة

1- مَا هُوَ أَجْمَلُ شَيْءٍ فِي العِلْمِ؟ لِمَاذَا؟

2- لِمَاذَا يَتَرَبَّصُ الشَّيْطَانُ بِالإِنْسَانِ؟ وَمِنْ أَيِّ طَرِيقٍ يَأْتِيهِ؟ وَمَنْ يَسْتَطِيعُ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَنْتَبِهَ لِمَكَائِدِهِ؟

3- مَنْ هُوَ الَّذِي يَكُونُ صَيْدًا سَهْلاً لِلشَّيْطَانِ لِيُوقِعَهُ فِي حِبَالِهِ؟

4- بِمَـــاذَا يَتَمَيَّزُ هَذَا العَابِدُ الَّتِي تَتَكَلَّمُ عَنْهُ القِصَّةُ فِي طَاعَتِهِ؟ مَاذَا فَعَلَ لِيَتَفَرَّغَ لِلعِبَادَةِ؟

5- هَلْ اعْتِزَالُ العَابِدِ لِلنَّاسِ كُلُّهُ خَيْرٌ؟ لِمَاذَا؟

6- لِمَاذَا فَشَلَ الشَّيْطَانُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فِي إِغْرَاءِ العَابِدِ وَلَمْ يَنْجَحْ فِي إِضْلَالِهِ؟

7- لِمَاذَا جَمَعَ الشَّيْطَانُ أَوْلَادَهُ وَأَحْفَادَهُ؟ عَلَى مَاذَا اسْتَقَرَّ رَأْيُهُمْ؟

8- دَبَّرَ الشَّيْطَانُ اللَّعِينُ لإِضْلَالِ بَرْصِيصَا خُطَّةً مِنْ مَرَاحِلَ، اذْكُرْ الْمَرْحَلَتَيْنِ الأُوْلَى وَالثَّانِيَةَ بِإِيجَازٍ؟

9- سَعَى الشَّيْطَانُ لِتَطْبِيقِ الْخُطَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ مَكِيدَتِهِ. لَخِّصْهَا فِي بِضْعَةِ أَسْطُرٍ؟

10- كَانَتِ الْخُطْوَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ بَعْدَ شِفَاءِ الْمَرِيضَةِ، مَاذَا وَسْوَسَ لِلْعَابِدِ فِي هَذِهِ الْخُطْوَةِ؟ وَمَا النَّتِيجَةُ مِنْ ذَلِكَ؟

11- بَعْدَ الْخُطْوَةِ الرَّابِعَةِ سَعَى الشَّيْطَانُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ مِنَ الدَّرَجَةِ الْخَامِسَةِ. اشْرَحْهَا بِإِيجَازٍ؟

12- أُخْبِرَ إِخْوَةُ الْمَرْأَةِ بِمَوْتِ أُخْتِهِمْ مَوْتَةً طَبِيعِيَةً فَمَاذَا رَأَى كُلٌّ مِنْهُمْ فِي الْمَنَامِ؟

13- رَفَعَ الإِخْوَةُ أَمْرَهُمْ إِلَى الْحَاكِمِ. فَمَاذَا فَعَلَ مَعَ أَعْوَانِهِ؟ وَمِنْ مَاذَا تَحَقَّقُوا؟

14- فِي الْخُطْوَةِ الأَخِيرَةِ جَاءِ إِبْلِيسُ إِلَى العَابِدِ يَطْلُبُ أَمْرًا خَطِيرًا وَهُوَ الْهَدَفُ مِنْ كُلِّ الْخَطَوَاتِ السَّابِقَةِ. مَا هُوَ طَلَبُهُ؟ وَهَلْ نُفِّذَ الْمَطْلُوبَ؟ وَمَاذَا قَالَ الشَّيْطَانُ حِينَئِذٍ؟

15- مَاذَا كَانَ يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَهُ الْعَابِدُ كَيْ لَا يَسْجُدَ لِلشَّيْطَانِ وَيَخْسِرَ سِتِّينَ سَنَةً مِنَ العِبَادَةِ؟

16- مَا هِيَ الْمَعْصِيَةُ الَّتِي لَا يَغْفِرُهَا اللهُ؟

17- احْفَظِ الآيَةَ الَّتِي افْتُتِحَتْ وَاخْتُتِمَتْ بِهَا القِصَّةُ، وَالآيَةِ الآتِيَةِ الَّتِي يُدْعَى بِهَا لِلثَّبَاتِ عَلَى الدِّينِ الْحَقِّ، وَلِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ، قَالَ تَعَالَى: "**رَبَّنَا لَا تُزِغْ** -لَا تَجْعَلْنَا نَمِيلُ أَوْ نَنْحَرِفُ عَنِ الْحَقِّ- **قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**".

من قصص القرآن

كل الحقوق محفوظة

المكتبة الخضراء

للطباعة و النشر و التوزيع

1 أ شارع الزواوة الشراقة الجزائر

9 789961 785973
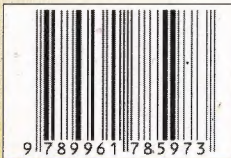
الهاتف/فاكس : 0 21 37 58 65/ 0 21 37 46 25/ 0 21 36 70 66

E-mail:bibliotheque_verte@yahoo.com/ www.bverte.net